أكد أستاذ الفقه المقارن والاقتصاد الاسلامي رئيس قسم الاقتصاد بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية سابقا والمستشار باللجنة الاستشارية العليا للعمل على تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية د.عبدالحميد البعلي أن هناك خللا يشكل مزنقا يتعين تداركه قبل فوات الأوان وحتى لا نلقي بأيدينا الى التهلكة، حيث يلاحظ أن حجم الاموال العربية بالخارج أكثر من خمسة أضعاف الديون العربية، وقال إن الفقر مشكلة مجتمعية اقتصادية تعكس مدى الحاجة الى استراتيجية جديدة، وعرف لنا ما الفقر والفقراء وما سبل الاعتاق من الفقر وتحرير الفقراء مستندا الى القرآن والسنّة، وتحدث عن القيم الشرعية، مشيرا الى النموذج العمري (عمر بن عبدالعزيز) الذي استطاع أن يحقق الائتلاف والتواصل بين الفقراء والأغنياء، فاستغنى الناس وعاشوا الكفاية والرغد.

وعن كيفية أن الفقراء يصنعهم الاغنياء كان لنا هذا الحوار مع د.البعلي:

كتبت: ليلى الشافعي

أكد أن الفقراء يصنعهم الأغنياء

البعلي: ثروات أكبر ثلاثة أغنياء في العالم تفوق قيمتها إجمالي الناتج المحلي لمجموعة الدول الأقل تقدماً والتي يناهز عدد سكانها 600 مليون نسمة

ما الدليل على التفاوت الصارخ بين الاغنياء والفقراء؟

● أطلق البرنامج الانمائي بالأمم المتحدة تقرير التنمية البشرية السنوي العاشر والأخير، وجاء به أن متوسط الدخل في أغنى خمس دول في العالم يبلغ 74 ضعف متوسط الدخل في أفقر خمس دول في العالم والتي تتركز جميعها في أفريقيا، ويذكر التقرير أن ثروات أكبر ثلاثة أغنياء في العالم تفوق في قيمتها إجمالي الناتج المحلي لمجموعة الدول الاقل تقدما والتي يناهز عدد سكانها 600 مليون نسمة، فميزانية شركة ميكروسوفت للكمبيوتر في أميركا تصل الى 100 مليار دولار تقريبا في السنة، وهو ما يفوق ميزانية 481 دولة من دول العالم الثالث. ويشير التقرير الى أن الرعاية الاجتماعية للتنمية البشرية تواجه تهديدا في ظل اقتصاد السوق والسوق المنافسة، ويشير في هذا الصدد الى افتقار حياة البشر بشكل متزايد الى الأمان وتزايد معدلات التفكك الأسري والجريمة، في حين يبلغ إجمالي الأرباح العالمية 1,5 تريليون دولار في العام، وعلى هذا النحو بات التفاوت الصارخ بين الاغنياء والفقراء خصيصة من خصائص النظام الاقتصادي والمالي وأصبح الفقر وتوابعه من انعدام الرعاية الاجتماعية هو الغالب، مما يتعين معه على العلماء وأصحاب الفكر أن يهبوا للغوث ولكشف الغمة، فمما لا يعقل في عصر الفضاء أنه يوجد أكثر من 100 مليون شخص تحت خط الفقر في أغنى دول العالم إضافة الى 37 مليون عاطلين عن العمل و100 مليون بلا مأوى. ويؤكد التقرير الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الانمائي أن تلك الاعداد المرتفعة لدرجة مذهلة وسط الوفرة المالية.

أزمة محتدمة

ما حجم الديون في الدول العربية والدول النامية؟

● وفقا لتقديرات الجامعة العربية، فإن الديون ارتفعت لأكثر من 100 مليار دولار تمثل مديونية الدول العربية، فالدول العربية تواجه حاليا أزمة محتدمة تتمثل في الديون الخارجية، خاصة بعد أن ارتفعت هذه الديون. وان مجلس الوحدة الاقتصادية أعد تقريرا حول مديونية الدول العربية تم فيه تقسيم الدول العربية الى 3 مجموعات بناء على نسبة الديون الى الناتج المحلي الإجمالي وإلى الصادرات. المجموعة الأولى هي: دول ذات مديونية معتدلة وقليلة وتكون نسبة الدين الى إجمالي الناتج أقل من 51٪ والى الصادرات أقل من 200٪، اما المجموعة الثانية: فذات مديونية مرتفعة وتكون نسبة الدين الى إجمالي الناتج المحلي أقل من 125٪ والى الصادرات من 220٪ الى 320٪. أما المجموعة الثالثة: فذات المديونية المتفاقمة تفوق فيها نسبة الدين الى الناتج المحلي 125٪ وتفوق 325٪ بالنسبة للصادرات.

الأموال الهاربة

وكم تبلغ الأموال العربية الهاربة من الشرق الأوسط والمستثمرة في الخارج؟

● في الوقت الذي كشف خبراء عرب مؤخرا عن أن حجم الأموال العربية الهاربة من منطقة الشرق الأوسط والمستثمرة في الخارج تبلغ 800 مليار دولار وأن نصف

د.عبدالحميد البعلي يتحدث للزميلة ليلى الشافعي

د.عبدالحميد محمود البعلي

النموذج العمري استطاع أن يحقق الائتلاف والتواصل بين الفقراء والأغنياء فاستغنى الناس وعاشوا الكفاية والرغد

عهد عمر بن عبدالعزيز نموذج حضاري ترنو إليه المناهج المعاصرة

يوجد 50 بنكاً للفقراء على مستوى العالم تزيد رؤوس أموالها على 16 مليار دولار

أليست دعوة متأخرة جداً أن يعتزم برنامج الخليج العربي دعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية بإنشاء بنوك خاصة للفقراء في الدول العربية؟!

هذا المبلغ يأتي من دول مجلس التعاون الخليجي التي يمثل الاستثمار في الخارج أفضل خيار لها نظرا لحاجتها للتنوع، هذا في حين لا تتجاوز الاستثمارات العربية البينية 350 مليون دولار، ولا شك ان هذه الأموال الهاربة تعد تحديا لدول تتطلع لجذب الاستثمارات الأجنبية بشتى الطرق. ويلاحظ ان حجم الأموال العربية بالخارج أكثر من 5 أضعاف الديون الغربية مما يؤكد وجود خلل ما ويشكل مأقا يتعين تداركه قبل فوات الأوان.

الفقر

هل نجحت نماذج التنمية المختلفة في علاج مشكلة الفقر؟

● بات الفقر مشكلة مجتمعية اقتصادية تعكس مدى الحاجة الى استراتيجية جديدة لقد أصبح من المقطوع به اليوم ان نماذج التنمية المختلفة قد أخفقت وبلاشك في علاج مشكلة الفقر ومشتقاتها من الجوع والجهل والبطالة والتخلف، بل ان مؤشرات اليوم تجعلنا نقطع بأن العقود القادمة ستحمل معها للبلدان النامية المزيد من الصعاب والمخاطر ما لم تغير من سياساتها المتبعة وتختار لنفسها إستراتيجية جديدة تستجيب لحاجات الناس جميعا دون تحيز او عنصرية وان تقوم هذه الاستراتيجية على خيار أساسي هو تحسين القدرة الإنتاجية للفقراء وفي المقابل لذلك ايضا اتباع سياسة رشيدة لإشباع الاحتياجات الأساسية بجوانبها المادية والمعنوية معا وبشكل متوازٍ.

إذ لا يمكن في ظل الإستراتيجيات القائمة للإنتاج، او لإشباع الحاجات، علاج مشكلات الفقر او حتى التخفيف من حدتها، اذ لا تعمل ولا تحرص هذه الإستراتيجيات على بناء وتعزيز الطاقة أو القدرة الإنتاجية للفقراء الذين يشكلون السواد الأعظم من الناس في عالم اليوم، كما لا تعمل حتى الإستراتيجيات على ترشيد الاحتياجات الأساسية وإخراجها من ماديتها البحتة وما تقوم عليه من نظرية المنفعة ومذهب اللذة، إلى ان يقوم بجانبها الاحتياجات غير المادية او الاحتياجات الروحية والمعنوية، ومن ذلك يتضح ان مشكلة الفقر في جوهرها مشكلة مجتمعية اقتصادية اي أصبحت مجتمعات بأسرها تعاني منها سواء في قدرتها الإنتاجية أو في حاجاتها الأساسية.

معنى يتجدد

ما هو تعريف الفقر والفقير؟

● الفقير معنى يتجدد ويتسع، وهو مفهوم متشابك متعدد لا يمكن تعريفه بمؤشر واحد فقط، بل لابد أن تؤخذ في اعتباره معايير متعددة ومتنوعة على رأسها «الدخل»، واذا كان متوسط الدخل في أغنى 5 دول في العالم يبلغ 74 ضعف متوسط الدخل في أفقر 5 دول في العالم فلك أن تتخيل ما وسعك من تخيل حجم المشكلة وصعوبة الحل المتوقع والممكن.

وقديما حاول الفقهاء تحديد من هو الفقير فقال الحنفية: «هو ما يملك شيئا دون النصاب الشرعي في الزكاة، او يملك ما قيمته النصاب او أكثر من الأثاث والأمتعة والثياب والكتب ونحوها مما هو محتاج اليه لاستعماله والانتفاع به»، وعند الأئمة الثلاثة «يدور الفقر على معيار ملك النصاب بل على معيار ملك الكفاية، فالفقير من ليس له مال ولا كسب حلال لائق به يقع موقعا من كفايته لنفسه، ولمن تلزمه نفقته من غير إسراف ولا تقتير».

ويستبين لنا ان المعيار المشترك المتخذ من الفقراء كمؤشر للفقراء هو «الدخل» واختلفوا في مقداره، فاعتبر بعضهم فيه النصاب الزكوي، واعتبر جمهورهم فيه الكفاية، وهو الأصوب لأن الكفاية تختلف باختلاف الأحوال والبيئات والأمكنة والأزمنة، ناهيك عن دخول «المقدم» الذي لا ملك له ولا كسب أصلا في زمرة الفقراء من باب أولى فهذا هو الفقر المدقع وما يعبر عنه اليوم بمن هم تحت خط الفقر اي المعدمين.

حد الكفاية

كيف تتحقق أسباب حد الكفاية النسبي؟

● اذا كانت الكفاية مفهوما يتجدد، فانها امر نسبي مرتبط بالتفاوت الاجتماعي او التفاوت بين الناس المركب في نظرة الخلق، يقول تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ويقول تعالى: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم) ويصبح تحقيق الاشباع لحد الكفاية النسبي بين الناس مرهونا بأمرين متكاملين، الأول: مدى قدرة الفقراء على تحسين طاقاتهم الانتاجية وزيادة الدخل، والثاني: مدى استعداد الاغنياء للتنازل عن بعض ما يملكون وللعطاء والبذل والبذل، وكلا الأمرين مجتمعان، لا ينفك احدهما عن الآخر او لا يعمل احدهما بمعزل عن الآخر، وبذلك يتحقق الائتلاف والتواصل بين فئات المجتمع الواحد وبين المجتمعات وبعضها البعض وفي ذلك يقول الماوردي كلاما نفيسا: «أما اذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين بالمعونة متواصلين بالحاجة» ويقول الإمام علي ﷺ: «واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض».

فريضة الزكاة

يتحقق الائتلاف والتواصل بين الأغنياء والفقراء؟

● هذا الائتلاف والتواصل الذي يحقق مصلحة الجميع على السواء اغنياء وفقراء واضح فيما اخرجه الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما المعطي من سعة بافضل من الآخذ اذا كان محتاجا» وكفل الإسلام الحد الأدنى من هذا الائتلاف والتواصل في سور كفاية الفقراء بفريضة الزكاة ثم ارتقى بهذا الحد بالحث على الصدقات وانشاء المؤسسات الوقفية وغير ذلك من الوسائل والادوات المشروعة، وذلك كله يشكل ركيزة في ايديولوجية المنهج الاسلامي، وهي ألا يكون المال دولة بين الأغنياء منكم.

فأين هذا من الاستراتيجيات الاقتصادية المعاصرة في جزئياتها وكلياتها على السواء، حيث تقوم النظرية الجزئية المنتقدة على مفهومي سيادة المستهلك والتنافس الحر وكلاهما لا يخاطب إلا من خلال القدرة المالية لاشباع حاجاته، دون الاعداد الهائلة التي لا تملك الا محاولات يائسة للخروج من الفقر وتوابعه، وحيث تقوم النظرية الاقتصادية الكلية على مفهوم العرض والطلب والتنافس ايضا ولكن على ضرورة ان تتدخل الدولة في اقتصاد السوق في حالة اختلال توازن العمالة والاسعار ثم صارت هذه النظرية تنتكس على اعقابها في الوقت الحاضر، وتتخذ من شعارات العولمة والطريق الثالث ايديولوجيات جديدة لها.

الإحصار

هل هناك معان أخرى للفقراء؟

● هناك معنى آخر للفقراء له ظلاله في الوقت الحالي اذ يتخذ من دلالات المفهوم وروح النص معاني جديدة يقول الله تعالى: (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) والاحصار بمعنى الحبس والتضييق والفقراء الذين احصروا هم الذين جعلهم جهادهم عدوهم يحصرون انفسهم فيحسبونها عن التصرف فلا يستطيعون تصرفا، ومعنى الاحصار تصيير الرجل المحصر لمرضه او فاقته أو جهاد عدوه وغير ذلك من علله الى حالة يحبس نفسه فيها عن التصرف في اسبابه اي حبسهم الجهاد او العمل في مرضاة الله تعالى وانشغالهم بذلك لا يستطيعون معه شيئا في الارض وذهابا للتكسب والتجارة فهذه الحالة الاقتصادية الايمانية جعلتهم يحصرون انفسهم في سبيل الله وكانوا بسبب ذلك من الفقراء، وعلى هذا النحو يتخذ الفقر معنى اضافيا اي الذي سببه الحصار وتصيير المحصرين بجهادهم فقراء.

سبل الاعتقاد

ما وسائل تحرير الفقراء في نظركم؟

● لن يجهد الفقراء الا بما يصنع الأغنياء اشخاصا او دولا ومجتمعات وان الله فرض على الأغنياء في اموالهم بالقدر الذي يسع الفقراء من ناحية توفير فرص العمل وادراج الفقراء في الدورة الاقتصادية فلا يجوز ان يعطى قادر على الكسب بما تحصل به الكفاية من الصدقات، ولا يجوز لمن وجد عملا يكفيه ويقدر عليه ان يدعه ويأخذ من الصدقات او يسألها، وكذلك شراء الآلات والمعدات والاجهزة التي تعين الفقراء على الكسب والعمل وأيضا التوظيف على اموال الاغنياء وكفالة العاجز عن الكسب وتوفير كفايتهم، وبذلك تتحدد ملامح استراتيجيتنا للتنمية وانها ترعى الكثرة من الفقراء وبذلك يصح وصفها بانها استراتيجية للتنمية الحقيقية من شعارات العولمة والطريق الثالث.

الطريق الثالث

ما مفهوم سياسة الطريق الثالث؟

● تتمحور فكرة الطريق الثالث حول أنه يمكن المشاركة على نطاق واسع في النمو الاقتصادي المدفوع بسياسة السوق الحرة فإذا منح هؤلاء الذين أضيروا من تلك السياسات الوسيلة التي تمكنهم من التكيف معها، لكن ساسة الطريق الثالث يجدون ان الذين يستفيدون من الاقتصاد الجيد يرفضون التضحية من اجل العاجزين عن تحقيق ما بلغوه، ولعل احدى النتائج السيئة الناجمة عن ذلك في الولايات المتحدة الأميركية هي افتقار نسبة كبيرة من العامة في الوقت الحالي للرعاية الصحية بصورة اسوأ عما كانت عليه لدى تولي الرئيس بيل كلينتون الحكم فإن الازدهار الذي تشهده الولايات المتحدة وغيرها من بعض البلدان الاوروبية قد ساعد على احتواء الاستياء الاجتماعي الذي صاحب السياسات الجديدة والتي تزيد من سعة الهوة القائمة بين الاثرياء والفقراء ولكن لا يمكن لتلك الظروف ان تستمر فهناك مخاوف حقيقية من ازمة كساد عالمية بعد ظهور انكماش اقتصادي عالمي في الآونة الأخيرة فضلا عن ازدياد مخاطر الجوع في اماكن كثيرة من العالم.

بنوك الفقراء

ما أفضل نموذج في التاريخ لبنوك الفقراء؟

● كان اهتمام الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز بالفقراء شاملا جميع الأمصار حتى كانت الصدقات لا تجد من يأخذها، والفقراء بشمولهم يسعهم مال الأغنياء بفضوله، فكان نموذجا عمريا تنمويا فريدا تحرى فيه عمر بن عبدالعزيز وجه العدل في توزيع الدخول والثروات والموارد في السياسة المالية للدولة بأطرافها المترامية فقضى على مشكلة الفقر والفقراء في عهده كنموذج حضاري ترنو إليه المناهج المعاصرة ومن كان عندهم حس إنساني وأخلاقي ومن ثم ايماني رفيع. أليست دعوة متأخرة جدا ان يقدم برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية انشاء بنوك خاصة للفقراء في الدول العربية تخفف من معاناتهم وتؤهلهم للعمل، علما بأنه توجد بنوك للفقراء على مستوى العالم تعدادها خمسون بنكا تزيد رؤوس أموالها على 16 مليار دولار ولكن المشكلة أعمق وأعقد من ذلك حيث تتسارع ارتفاع معدلات الفقر، بالمعايير العالمية الحالية مما يقتضي التزام سياسة القصد.

القصد

ما القصد في الفقر وفي الغنى؟

● القصد قاعدة من قواعد الشريعة في الطاعات وفي المعايش على حد سواء وهو في الآونة الأخيرة ما يسميه سياسة القوام والرشد، وإذا كان القصد مطلبا شرعيا جوهريا فإنه يستوي فيه الفقر والغنى وإذا كان القصد في الغنى متصورا فكيف نتصوره في الفقر؟ أما القصد في الغنى فلا يتم إلا بالمحافظة على عدة وظائف في المال وهي ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وان يراعي جهة دخل المال فيتجنب الحرام المحض والغالب عليه الحرام والجهات المكروه كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة والسؤال الذي فيه المذلة، وان يراعي جهة المخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر وأن يصلح نيته في الاخذ والترك والإنفاق والإمساك. اما القصد في الفقر فلا اظنه ليتحقق الا بالمحافظة على امور هامة ان يعلم الفقير ان الكسب من عمل يده خير من المسألة وأن يقدر حوائجه حق قدرها بلا تقتير ولا اسراف وان لكل حاجة ثلاث درجات حد أدنى وحد أوسط وأعلى متوافقة مع ثلاث مراتب هي الضروريات والحاجيات والتحسينات، وأقول ان الفقر والغنى ابتلاء من الله سبحانه وتعالى ايشكر الغني ويؤدي واجب الشكر على ما هو فيه وهو مقتضيات القصد وأيصبر الفقير ويقوم بحقوق الصبر على ما هو فيه وهي مقتضيات القصد على نحو ما تقدم.

دائرة الفقر

كيف يمكن للفقراء أن يخرجوا من دائرة الفقر؟

● الفقراء هم من لا يجدون غنيا يغنيهم وكسر الحلقة الجهنمية للفقر مرهون بأمرين متكاملين، الأمر الأول مدى قدرة الفقراء افرادا وشعوبا ودولا على تحسين طاقاتهم الانتاجية وزيادة الدخل والثاني مدى استعداد الأغنياء للتنازل عن بعض ما يملكون وللعطاء والبذل وبهذه المعاني نستطيع ان ندرك معنى ومغزى ما جاء في الحديث عن الرسول ﷺ «ولكن المسكين الذي لا يجد غنيا يغنيه ولا يفطن فيتصدق عليه»، وعن علي ﷺ قال: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين من أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا إلا بما يصنع أغنياؤهم وأن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما».

ميزانية شركة ميكروسوفت تصل إلى 100 مليار دولار في السنة وهو ما يفوق ميزانية 48 دولة من دول العالم الثالث

متوسط الدخل في أغنى خمس دول في العالم 74 ضعف متوسط الدخل في أفقر خمس دول في العالم وجميعها تتركز في أفريقيا

800 مليار دولار حجم الأموال العربية الهاربة من منطقة الشرق الأوسط والمستثمرة في الخارج

د.عبدالحميد محمود البعلي في سطور

● حاصل على الدرجة العالمية (الدكتوراه) في الفقه المقارن من كلية الشريعة – جامعة الأزهر – بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.
● حاصل على درجة التخصص (الماجستير) في الفقه المقارن من كلية الشريعة – جامعة الأزهر.
● حاصل على دبلوم الدراسات العليا في الشريعة الاسلامية من كلية الحقوق – جامعة القاهرة.
● حاصل على دبلوم الدراسات العليا في القانون العام من كلية الحقوق – جامعة عين شمس.
● تلقى علوم الفقه والاقتصاد والقانون على يد أكثر من خمسين عالما من المبرزين في هذه التخصصات الثلاثة.
● له خبرة اكثر من خمسة وعشرين عاما في حقل الاقتصاد الاسلامي والبنوك الاسلامية.
● له أكثر من 70 مادة علمية في الفقه الاقتصادي المقارن والبنوك الاسلامية ما بين كتاب وبحث علمي منشور وله مئات المقالات العلمية المنشورة.
● صمم ونفذ عشرات البرامج التدريبية والمواد العلمية الاكاديمية والتدريسية الخاصة بالاقتصاد والبنوك الاسلامية واشرف على عشرات الرسائل العلمية.
● أول مستشار للاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية.
● أول امين منتخب للهيئة العليا للفتوى والرقابة الشرعية للبنوك والمؤسسات المالية الاسلامية.
● أول رئيس لقسم الاقتصاد الاسلامي بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية – بالجنوب – المملكة العربية السعودية.
● رئيس هيئة الرقابة الشرعية لبنك فيصل الاسلامي بقبرص التركية.
● عضو هيئات الرقابة الشرعية للعديد من البنوك والمؤسسات المالية والشركات الاستثمارية الاسلامية.
● عضو مجلس معايير المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الاسلامية بهيئة المحاسبة والمراجعة بالبحرين.
● العضو المنتدب للشركة العالمية للاستثمار والتنمية – شركة مساهمة مصرية.
● مارس التدريس الجامعي لسنوات عديدة في الجامعات المصرية والعربية ومارس القضاء ايضا.
● شارك في الكثير جدا من المؤتمرات والندوات حول الاقتصاد والبنوك الاسلامية.
● حاليا مستشار باللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسلامية – بالديوان الأميري – دولة الكويت.